السياق في البلاغة العربية القديمة تداولياً

امل عبد الجبار كريم الشرع
جامعة بابل/ كلية الدراسات القرانية
Amel_abdul@yahoo.com

الخلاصة

إن التداولية تتناول النص بوصفه موضوعا للدراسة، وتهتم بجانبين:الجانب الأول: يتمثل في دراسة اللغة لأنها الوسيلة الوحيدة في خدمة التفاعل.

والثاني:يتمثل في مراعاة المجال ألاستعمالي لها، وتحديد هذه المعاني لا يتم إلا من خلال السياق وما تحيل عليه اللغة لأن اللغة، بتوجيهها تدل على وضعية الخطاب وما تشير إليه من تأويلات تساهم في الوصف، أو الأخبار.....،وهذا ما تؤكده المقولة الشهيرة (ليفنشتاين) (لا تسألني عن المعنى واسألني عن الاستعمال)، إذ إن الاستعمال هو المحدد النوعي للمعاني المقصودة.

إن النصوص الإبداعية فيها لذة تداولية من خلال الجانب المخفي في البناء الفني الى حد ما يختبر الفضول التأويلي لدى القارئ التداولي انطلاقا من توفير المعلومات وما توفره الذاكرة من مخزون ثقافي وذهني تعالجه الذاكرة بتفاعلها مع معطيات ومعارف المخاطب. وهذا لا يتم إلا من خلال معرفة السياق، إذ يتفاعل السياق الداخلي للنص مع السياق الخارجي مؤديا إلى الإسهام في تأويل الملفوظ.

أما البلاغيون فقد جاء اهتمامهم بالسياق من خلال حديثهم عن المقام، وعن معنى المقام، والمقال والأفعال الكلامية، وهذا ما تؤكده الدراسات التداولية في دراستها عن ماهية النص والسياق وتفاعلهما وصولا إلى المقصدية، إذاً لا تتم التداولية من دون السياق.

الكلمات المفتاحية:البلاغة،الاعجاز القراني، البنية التكوينية،السياق.

Abstract

Pragmatics (Al-Tadawuliya) deals with the texts as a subject of study.It is interested in two sides:

-The first one is represented by the study of language as the only means to serve the reaction .

-The second one is represented by the observance of the discipline of its use. The determination of these meanings is to be achieved only through the context and what language refers to, because language , being directed ,refers to the discourse situation , and the interpretations it bears contribute to the description or telling ….". This is confirmed by Levinstein's famous statement which says, "do not ask me about the meaning ,but ask me about the use." This is because the use is the qualifying determiner of the intended meanings .

The Creative texts have a pragmatic pleasure acquired out of the side hidden in the technical construction .To some extent ,interpretive curiosity a reader has , is experimented by the availability of information and by what mental and cultural understanding that the memory makes available , to be treated by the memory through its reaction with the givens and knowledge of the addressee .This can be achieved only by knowing the context ,as the internal context of a text reacts with its external context leading to the contribution to the interpretation of uttered .

As for the rhetoricians , their interest in the con text has some out of their speech on the situation and on the meaning of the situation , the saying and the speech acts .This has been affirmed by the pragmatical studies which tackle the essence of the

text and the con text showing their reaction on to the intentionality as pragmatics can not be achievable without an obserrance of the context.
Keywords: Rhetoric, Quranic miracle, textural structure, context.

المقدمة:

إن مصطلح التداولية ليس جديدا على الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية القديمة، وقد أشار إليه علماء العربية القدماء في بناء الجملة وإخراج النص من عزلته، وممارسة المتكلمين الكلامية، التي تمكنهم ملكتهم النصية من إنتاج وفهم النصوص بصفة منسجمة وجعله نتاجا يتفاعل بصورة مستمرة مع السياق، فالدراسات اللسانية والنقدية الحديثة أقصت السياق من دراستها لمستويات الجملة، وقامت بعزل الجملة أو النص عن السياق، ولأن التداولية تسعى للكشف عن الإمكانيات التأويلية التي يوفرها التحليل التداولي، ومدى فاعليته في إضاءة مستويات جديدة من النص بوصفه موضوعا للدراسة، إذاً الدراسات الأسلوبية والبنيوية لم تتمكن من التوصل إليها،لأن غاية التداولية هي دراسة البعد من الخطاب.

فالتداولية وفقا لذلك تهتم بدراسة المعنى الذي يحاول أن يوصله المتكلم والمتلقي ويؤوله، لذا فهي على ((علاقة مباشرة بتحليل ما يقصده المتكلم من خلال ما يستخدمه من تعابير أكثر مما تعنيه الكلمات أو العبارات المتقدمة في تلك التعابير في حد ذاتها)) [١].

أما السياق بوصفه مكونا من مكونات نظام التواصل، فهو الذي يولد الوظيفة المرجعية للكلام، لأن إحدى وظائف اللغة الأساسية أنها تحيل على الإطار الخارجي للغة[٢].

أما دلالته المعجمية فهو مصدر من الجذر اللغوي (س و ق)، وهو يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع[٣].

ومن ثم يمكن النظر إليه من جهتين الأولى : توالي العناصر في تركيب النص، وهو ما يطلق عليه بـ(سياق النص).

والثانية: توالي الأحداث، ولها علاقة بالاتصال بين النص ومتلقية، وهو ما يعرف بـ(سياق الموقف).

الدراسات البلاغية القديمة والسياق:إن الدراسات القديمة بنيت أساساً على مسألة السياق والموقف الكلامي الذي يتطلب – كلما تغير – نمطاً معيناً من التركيب،ويدخل ضمن الموقف الكلامي بكل ما يتصل بظروف عملية الإبلاغ من مخاطِب، ومخاطَب، وخطاب، فالتداولية تتجاوز محددات الدلالة إلى إمكانية الوصول إلى قصدية المتكلم بإحالتها للجملة على السياق التداولي، لمعرفة الدراسات البلاغية القديمة التطابق أو اللاتطابق بين دلالة الجملة لسانياً وظروف السياق[٤].

فهي تعنى بدراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة وتأثير هذا الاختيار في الآخرين ((لان لكل لفظة دلالة خاصة بهما، فحينما نستعمل لفظة من دون أخرى نحملها دلالة من دون غيرها ونعلم أنها قادرة على إيصال مقاصدنا التي نريدها إلى مستمعينا))[٥]، لو أخذنا على سبيل المثال لفظة (جسر) قد استعيرت في موضوعات عدة في قول ابي تمام[٦].

---

[١] محاضرة عن التداولية واقعية لغة أم تواصلية تركيب :جابر محمد جابر.

[٢] ينظر: دراسات في البلاغة العربية والنقد الأدبي القديم: ٢١٥.

[٣] لسان العرب، مادة(س و ق) .

[٤] ينظر: التداولية والنظرية النقدية(الشبكة المعلوماتية).

[٥] ينظر: التداولية النشأة والتطور(الشبكة المعلوماتية).

[٦] ديوانه: ١١٣.

أن لا يطمـــعُ المـــرءُ يجتـــابَ لجتـــه بـالقُولِ مـا لـم يَكـنْ جَـسْراً لـهُ العَمَـلُ

.

وقوله: [٧].

بَصُرْتُ بالرَّاحةِ العظمى فلمْ أرهَا. تُنالُ الاّ على جَسْرٍ من التعَّب.

يقول الجرجاني((ترى لها في الثاني حسناً لاتراه في الأول، وترى لها ملاحة لاتجدها في غيره)) [٨].

كما في قول ربيعة الرقي:

قولي نَعمْ ونِعْم إن قلتِ واجبةٌ. قالت: عسى وعسىَ جسرٌ إلىنعمِ.

فالتداول في هذه الأشعار شمل الفكرة العامة المشتركة بين هؤلاء الشعراء اذاً علماء البلاغة أشاروا إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه [٩].

من خلال الحديث عن معرفة الألفاظ ووجوه استعمالها وتمييزهم بين مزية الالفاظ، ومعرفة المقامات وما يتناسب مع الكلام، تطرقوا إلى معرفة العلاقة التي تربط المتكلم ومقصده والمخاطَب وما فهمه من قصد المتكلم، فضلاً عن معرفة الأحوال المحيطة بالحدث الكلامي، كما في قصيدة المتنبي التي قال فيها[١٠]:

صحب الناسُ قبلنا ذا الزّمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

وتولوا بغصةٍ كلهم منـــه إن سر بعضهم أحيانا

رُبَّما تحسنُ الصنيع لياليهِ ولكن تُكدِّرُ الإحسانا

وكأنا لم يرض فينا بُريبِ الدّهرُ حتى أعانه من أعانا

كلما انْبت الزَّمانُ قناة رَكَّبَ المرءُ في القناة سِنانا

ومْرادُ النَّفوس اصغُر من أنْ نتعادى فيه وأن نتفانى

غير أن الفتى يُلاقي المنايا كالحاتٍ ولايُلاقي الهوانا

وَلَوَ أنّ الحياة تبقى لحيٍ لِعَدَدنِا أضلَّنا الشِجعانا

وإذا لم يكُنْ مِنَ الموّتِ بُدٌ فَمِنَ العَجْز أن تكوُنَ جبانا

كُلُّ مالمْ يكنْ من الصَّعْب في. الأنْفُسِ سَهْلٌ فيها إذا هُوَ كانا.

فالعناصر الأساسية التي تشكل النص هي المخاطَب والمخاطِب، والموضوع أو الرسالة، فالمتلقي إذا توافرت أمامه هذه المكونات الأساسية فهم الموضوع، أي وضعه في سياق المعنى من أجل أن يكون له معنى، وقد توافرت في– الشعر العربي القديم– شعر المتنبي بحيث أتاحت الظروف أن يقدم هذا الشاعر في كل قصيدة السياق الخاص بها، فضلاً عن المعلومات عن قائل النص الشعري، أو (البنية التكوينية) تمهد لمناسبة القصيدة أو لمن توجه، وما حدث فيها كل هذه العوامل تساعد على فهم سياق النص الشعري،فضلا عن شخصية الشاعر وثقافته وبيئتهِ عنصر أساسي في المعاني وطرق صياغتها، وهذا لا نجده في الشعر الحديث، فالسياق هو: المخاطِب: الشاعر

---

[٧]المصدر نفسة:٧.

[٨]دلائل الاعجاز: ٧٨–٧٩.

[٩]أصول النظرية السياقية عند علماء العربية، ودور هذه النظرية في التواصل الى المعنى (بحث) د. محمد سالم صالح .

[١٠]ديوان المتنبي: ٣٥٦– ٣٥٧ .

والمخاطَب: منافسو الشاعر، أو حساده

والموضوع: الشكوى من الدهر وتصوير تقلبات الزمان وصروفه.

فالشاعر المبدع وسيلته الوحيدة الكشف عن الحساد، والنهي عن العداوة والتحاسد بسبب التكالب على الحكم والمنافع والمطامع الشخصية، أما المستمع أو القارئ فهو شبيه بالمبدع، فالنص يثير لديه حالة من التوقع، بأن الشاعر يمر بأزمة نفسية متوالية لما صادفه من مكائد أنداده في حاشية كافور الإخشيدي، وهذا التوقع جاء من معرفته بالأجناس الأدبية وطرائق التعبير والتفكير في العصر الذي نشأ فيه الشاعر.

ويتم اختيار السياق انطلاقا من سهولته وقربه إلى المنال، وهذا لا يستقل به إلا الحذاق المبرزون المتدربون بنقل المعنى إلى معنى أخر، وتداوله من ذلك قول امرئ ألقيس يصف الفرس[١١]:

فللسوط ألهوبُ وللساق درّةٌ وللزجر منه وقعُ أهوجَ مِنْعَبِ

وقول علقمة الفحل:

فأدركهنَّ ثانياً من عنانهِ يَمُرُّ كمَرّ الرائحِ المتحلِّبِ

إن امرئ القيس أجهد فرسه بسوطه ودفعه، أما علقمة فلم يضربه بسوط ولا دفعه بساق ولا زجره فأن التحليل لا يقف عند هذا الحد فحسب، بل يتعداه لإعطاء دلالة للنص بمساعدة مقصديه الشاعر والنص وهيأة المخاطب ومقتضيات الأحوال، وهو الحكم لعلقمة على امرئ القيس فأم جندب قارنت بين صورتين شعريتين، وفي الوقت نفسه اعتمدت على التشبيه أساسا للصورة الشعرية التي يضيفها كل شاعر ليحقق إبداعه الفني، صورة فرس امرئ ألقيس الذي يضربه ويزجرهويستحثه على الجري لكي يدرك طريدته، وصورة فرس علقمة الذي لم يضرب فرسه ولا يزجره ثان من عنانه، لا شك أن صورة علقمة أوضح وأكمل وأجمل، أصدرت أم جندب حكماً معللاً في نصين متشابهين حتى تنفي عن نفسها شبهة التحيز التي تطعن في عدالة الحكم، فالمعنى الأدبي المعبر عنه متشابه، لكن الألفاظ مختلفة إلا أن الفكرة في البيتين مشتركه، فالموازنة بينهما أسهمت إلى حد بعيد في إثراء تداول المعاني في النقد العربي القديم، وهو أمر مشروع لتعرضهم للمؤثرات والظروف نفسها ومن خلال الفكرة العقلية في الأبيات والتشكيل الأسلوبي للألفاظ في الخطاب الشعري التي صبغها الشاعر بصبغة فنية، ومعرفة وجود استعمال معانيها، ومناسبتها في الشعر وعلاقتها بين المتكلم والمخاطب، فقد ميز علماء البلاغة بين الألفاظ الجيدة من الرديئة وضروبها في الشعر،وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة في أقسامه للشعر،بقوله:- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، ومنه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، ومنه جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه[١٢].

اذاً ففكرة السياق والمقام كانت محور اشتغال البلاغين، ولعل بشر بن المعتمر كان أول من أشار إلى ذلك في صحيفته بقوله((ما يجب لكل مقامٍ من مقال[١٣]))، ويعلق الدكتور تمام حسان على هذه المقولة بقوله: ((حين قال البلاغيون: "لكل مقام مقال" لأن صورة المقال تختلف في نظر البلاغين بحسب المقام، وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة، أو تلك وهذا الأسلوب، أو ذاك من أساليب الحقيقة، أو المجاز والأخبار،أو الاستفهام وهلم جرا، ومن عبارتهم الشهيرة في هذه الصورة قولهم: " لكل كلمة مع صاحبتها مقام". وبهذا المعنى يصبح العلم

---

[١١]الشعر و الشعراء: ١١٧.

[١٢]لمزيد من التفاصيل ينظر: الشعر والشعراء او طبقات الشعراء ١٣ -١٩.

[١٣]ينظر:صحيفة بشر في البيان والتبين ١/ ١٣٥-١٣٩.

الجديد الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني "مضمونا"، لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها،وما يناط بكل جملة منها من" معنى"، ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة " المقام" متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي " المقام، والمقال" باعتبارهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعنى...)) [١٤]. وقد عرفت البلاغة(بانها مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب– ويسمى بالمقام – مع فصاحة ألفاظة) [١٥]وما المطابقةالا مراعاة احوال المتلقين[١٦]،وربما كانتالبلاغة في الاستماع، فان الخاطَب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي اليه الخطاب والاستماع الحسن عون للبليغ على افهام المعنى)[١٧].

واذا قامت البلاغة العربية على فكرة الاعجازالقرآني، فمسألة المقام كانت من المسائل المهمة في بيان اوجه الاعجاز القرآني.

ولما كانت نظرية النظم أهم نظرية في البلاغة العربية، فإنها – بلاشك– تشكل بأبعادها المختلفة تنظيراً لفكرة (المقام) محاولة رصد السياقات المناسبة لأساليب التعبير،لأن النظم هو توخي المعاني على حسب الأغراض المصاغة،فالكلمة لايمكن ان يفهم معناها الامن خلال السياق الذي ترد فية وعلاقتها مع الكلمات الأخر، كما يرى ريتشاروز" ان النغمة الواحدة، في أي قطعة موسيقية لاتستمد شخصيتها ولاخاصيتها المميزة لها الا من خلال النغمات المجاورة لها، وأن اللون الذي نراه امامنا في أية لوحة فنية لايكتسب صفته سوى من الالوان الاخرى التي تصحبه وتظهر معه"[١٨]فالاستعمال بالنسبة لكلمة ما يحدده السياق وإذا ما وضعت في سياق أخر تغير المعنى، بل قد ينتقل إلى الضد"[١٩].

وبذلك يصبح للكلمة معنى سياقي تكسبه المفردة اللغوية من النص الذي ترد فيه. ونظرا لأهمية السياق في دراسة وتحليل القول، فقد أدرك العلماء جيدا ماله من دور مهم في توجيه المعنى، وما يكون لعناصره من أثر في إضاءة محاميل النص[٢٠].

إن عناصر المقام عند،البلاغين تتضح في المخاطِب، والمخاطَب، والخطاب، وظروف كل واحد منها، التي تتحكم في تعيين الدلالة والمناسبة والتي قيلت فيها، وبترابط هذه العناصر وتفاعلها يتشكل سياق الحال أو المقام، الذي يحقق عملية الابلاغ والتواصل. وقد عمل البلاغيون على ربط الصياغة بالسياق، واصبح المقياس للكلام وحسنه مترابطا بحسن مناسبته لما يليق به، فالحال والمقام عند البلاغين مرتبطان بالبعد الزمني والمكاني، فالأمر الذي يدعو المتكلم الى تقديم صياغة معينة إما أن تتصل بزمن الصياغة فهو ما يعبر عنه بـ(الحال)، وإما أن يتصل بالمحل فيسمى بـ(المقام)[٢١].

ويقسم الباحث صابر محمود الحباشة، اللسياق على قسمين هما:السياق المقامي؛وهو الذي يوجب خصوصية العمل اللغوي، وهو ذو بعد دلالي تركيبي.

---

[١٤]اللغة العربية معناها ومبناها٣٣٧.

[١٥]جواهر البلاغة ٣٢-٣٣.

[١٦] ينظر البلاغة العربية في ضوء الاسلوبية ونظرية السياق،١٥.

[١٧]كتاب الصناعتين: ٢٥.

[١٨]بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٣٨.

[١٩]ينظر الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية: ١٣٧.

[٢٠]ينظر: الافق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية: ٥٥.

[٢١]ينظر: البلاغة الاسلوبية: ٢٢٨ .

والسياق الحالي؛وهو الأمر الداعي الى الكلام مكيف بكيفية مخصوصة مناسبة، ومن أمثلتة: حال خلو الذهن، وحال التردد، وحال الانكار[٢٢]،وهذه الامور تتعلق بالمخاطب اذا كانخالي الذهن يتوجه له القول خاليا من المؤكدات نحو:

محمدٌ ذاهبٌ أما اذا كان متردداً بين تصديق الذهاب من عدمه، فنستعمل مؤكداً واحداً نحو: إن محمداً ذاهبٌ.

وأما إذا كان المخاطب منكراً تماماً لمسألة الذهاب، فعند ذلك يحتاج الى مؤكدين أو اكثر لإزالة حال الانكار العالق بذهنه نحو: إنّ محمداً لذاهبٌ .

علاقة السياق بالتداولية:يحتل السياق مكانة بارزة في التداولية، فعندما يتغيرالسياق يتغير معه القول والمفهوم، ويجب ان يكون السياق سهلا وقريبا من المقصود، فلكل سياق قول، وهذه الاقوال بدورها متوقفة على العوامل الخاصة والمتكلمين، والعوامل الخارجية عنهم اذاً ((يتوقف السياق الخاص دوما على السياق العام، ذلك ان وجود هذا الأخير يتوقف على غياب الأول))[٢٣]من خلال تحويل السياق العام المشترك الذي حصل عليه الأديب من الدربة والروية، الى خاص إنفرد بة المتأثر بثقافة غيره وتداولها في معاينة وهذا لا يقع من دون وعي المتأثر، و((له قواعد وأصول تتفق وما اصطلح عليه النقاد العرب بالصياغة الفنية للشعر))[٢٤]، يقول ابو هلال العسكري((ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجديد للسوقي والنبطي والزنجي..... وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها، وقد يقع للمتأخر معنى سبقة اليه المتقدم من غير ان يلم به، ولكن كما وقع للأول، وقع للأخر))[٢٥]ووفقا لهذا المعنى يعرف السياق بأنه ((مجموع شروط انتاج القول، وهي الشروط الخارجية عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين، يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعه))[٢٦]وهذا التعريف يقترب من تحديد المقام في البلاغة بأنه((جملة الظروف العامة التي يتنزل فيها الخطاب ويتركب من المتكلم والمستمع.... ومن علاقتها التفاعلية المختلفة))[٢٧]اذاً ترتبط التداولية بالسياق ارتباطا مباشرا، فقد حدها بعض الباحثين بأنها، ((علم الاستعمال اللغوي ضمنالسياق او بمعناوسع هي العلاقات ضمن السياق))[٢٨]وهي ايضاً ((العلم الذي يدرس العلامات بمؤوليتها، فالقواعد التركيبية تحدد العلاقات بين العلامات الحوامل، أي الحاملة ضمنها علامة[٢٩]. ان التداولية لها حضور قوي وقديم جدا في التراث العربي، من خلال اراء البلاغيين والنقاد القدماء وتعليقاتهم منها زيادة في المعنى المتداول او تجاوز بها على سابقيه، واجاد في توليد معانيه، وابتكر الصورة الفنية...الخ هذا ما عبر عنه الأمدي في كتاب الموازنة لمفاضلته بين الشعراء، لأن الصورة المبتكرة هي غاية الشاعر لإحرازه معنى جديد ((فالألفاظ مباحة غير محظورة))[٣٠]بتأثيراتها وما تحمله من شعور ودلالات وتنقلها من جيل الى آخر بمدلولها الاجتماعي والثقافي، وانما الشأن في تركيب

---

[٢٢]ينظر: مغامرة المعنى من النحو الى التداولية قراءة في شرح التلخيص للخطيب القزويني: ١٤٩ .

[٢٣]تداول النصية قراءة في كتاب التداولية النصية، من انواع الخطاب الى النصوص: شبكة المعلوماتية .

[٢٤]تداولية المعاني بين الشعراء: ١٣٣.

[٢٥]كتاب الصناعتين:٢١٧ .

[٢٦]التداولية النشأة والتطور: شبكة المعلوماتية.

[٢٧]الابعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء، وسراج الادباء: مجلة عالم الفكر .

[٢٨]محاضرة عن التداولية واقعية لغة ام تواصلية تركيبة –شبكة المعلوماتية .

[٢٩]ينظر: الاسلوبية والتداولية: ٥١-٥٢ .

[٣٠]الموازنة: ١٤٩ .

هذه الالفاظ لتوليد معاني جديدة، لأن ((الالفاظ منقولة متداولة))[٣١]وعلى ذلك يرى الجاحظ انه ((لا يُعلم في الأرض شاعر تقدم الى تشبيه مصيب تام،وفي معنى غريب عجيب، او في معنى شريف كريم، او في بديع مخترع، الا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه، ان هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه،او يدعيه بأسره، فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه.))[٣٢]وكذلك يقول ابو هلال العسكري في حسن الاخذ: ((ليس لاحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها ان يكسوها الفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الاولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق إليها.))[٣٣]إذاً تداول المعاني يقع في الصناعة الشعرية وتجاوز المألوف الى ما هو جديدة مبتكر.لا في المعاني المجردة ذاتها، لان المعنى المبتكر هو غاية تداول المعاني، وهو يتحقق في الانسجام الذي ينبع من السياق الذي هو ((تفاعل المتلقي بالملفوظ الكلامي))[٣٤]فالسياق (هو الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها)[٣٥].

فالتداولية تتمركز حول البعد العملي للمعنى،لأنها تميز بين معنيين في كل ملفوظ الاول: هو معنى الجملة او ما يعرف بالقصد الاخباري، والثاني :هو القصد التواصلي، وهو ما يعرف بمعنى المتكلم، وهذا ما نجده واضحا في البلاغة العربية في علم البيان، والبديع، والمعاني، فالسياق واثره في تحديد المعنى واضح في المباحث البلاغية في تشبيه الشجاع بالأسد،والكريم بالبحر،وجمال العيون بالمها، واشراقة الوجه بالبدر، واللمعان بالدينار، وسواد الشعر بالليل، فالتوصل الى هذه المعاني يتم من خلال السياق والتشكيل النصي، لأن الجملة مهما كانت تحتاج الى سياق يكسب النص إنسجامه وحصافته من خلال تفاعله وتشاكله وممارسة المتكلمين.

فالوسائل البلاغية تعمل وفق تراتبية منظمة، مما جعلها على تلك الشاكلة هو القصد الذي تعمد إلى احداثه في المتقبل،إذ كلما يكون المعنى وافراً كانت الوسيلة أرفع درجة كالتشبيه والاستعارة، إذ تقاس بدرجة التأثير الذي تحدثه في المتقبل نفسه[٣٦]وعليه يمكن النظر اليها على إنها، قصد المتكلم الموافي لخلق لحظية المعنى حين التلفظ بالملفوظ مرتبطا بالسياق للتأثير في المخاطَب بصفته علما للتخاطب[٣٧] وبهذا يتولد البعد التداولي للبلاغة من البحث عن المقاصد، وجعل المتلقي مركز الاهتمام،لأن التداولية هي ليست مجموعة مترابطة متراصنة من الجمل، انها تنقل دراستها من القدرة الى الاداء، لأن الكلام بالنسبة لها حدث، اي دراسة لغة قيد الاستعمال

التناص والسياق:للتناص أثرُ بارزُ في إثراء التجربة الشعرية،((إذ يكتسب النص تعددية من سياقات اخرى مع بقائه ممركزاً في سياقه الخاص))[٣٨]وتنوع أنماط التناص ما بين استعادة حدث ديني او الاقتباس المباشر من القرآن بلفظه الصريح او بمعناه، نحو قول الشاعر السلطان الخطاب[٣٩]:

---

[٣١]الوساطة:٢١١ .

[٣٢]الحيوان: ٣/٣١١ .

[٣٣]كتاب الصناعين :٢١٧.

[٣٤]في نظرية الادب وعلم النص: ٣٠٤.

[٣٥]الخطيئة والتكفير:٨.

[٣٦]ينظر :الأسلوبية والتداولية:٨٥.

[٣٧]ينظر: التداولية والنظرية النقدية :شبكة المعلوماتية.

[٣٨]تجليات الشعرية: قراءة في الشعر المعاصر: ٢١.

[٣٩]شعره: ٢٢٣.

ولم يشكِ ما قد كان يعقوب يشتكي الى الله من بث لديه ومن حزنِ

يشير به الى قوله تعالى: **[قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ]**[٤٠]

فالشاعر استعان ببعض الفاظ القرآن الكريم لصياغة معان جديدة في سياقه الشعري وهذا التوظيف السياقي له دورٌ في جمال الصياغة الشعرية.

وقد يستعين الشاعر بحدث تاريخي او اسطوري، واستيطان هذه الاحداث او الاشارات بحيث تتولد دلالات جديدة تثري التجربة الشعرية، ومن ذلك قول ابن زيدون[٤١]:

ولو انني واقعت عمدا خطيئة فلم استتر لما كان بدعاً من سجاياك ان تملي
حرب الفجار ولم اطع. مسيلمةَ إذ قال اني من الرسلِ.

الشاعر يشير إلى حرب الفجار التي حدثت في الجاهلية قبل البعثة النبوية، وكذلك أشار أيضا إلى مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في خلافة أبي بكر(رض) فأن استحضار التاريخ في إحداثه ورموزه أدنى إلى الالتفات نحو الماضي واسترجاعه للارتقاء به في الحاضر،من خلال شبكة العلاقات بين الإحداث القديمة ومحاورتها مع النص الجديد، فقد نشأت علاقة توازن بينهما فالمبدع لا ينشئ نصه في فراغ، بل أشار إلى إحداث سابقة ومعروفة، فالنص مثقل بالدلالة من خلال السياق الوارد فيه وتركيبه.

ومن أنماط التناص الأخرى الإفادة من أشعار الشعراء القدماء وتوظيفها في أبياتهم الشعرية خدمة للمعنى الذي يريده الشاعر في استلهامه التراث الأدبي عن طريق تضمين شطر أو بيت شعري أو معنى من إشعارهم،نحو قول أبي فراس الحمداني[٤٢]:

عداوة ذي القربى اشد مضاضةً على المرءِ من وقع الحسام المهندِ

هذا البيت وظفه من معلقة طرفة بن العبد وفيها[٤٣]:

وظلم ذوي القربى اشد مضاضةً على المرءِ من وقع الحسام المهندِ

فالبيت السابق أحتوى على المفردات والدلالات ذاتها، إي إن الشاعر احتذى أنموذجاً سابقا عليه وموضوعا مطروقا قبله، هنا يحقق المعنى الحرفي للتناص من خلال التداخل النصي الذي اثري النص موسيقى ودلالة جمالية وظفها الشاعر بحسب طبيعة تجربته الشعرية والمؤثرات النفسية.

ومن النمط الفاعل أيضا الذي لمسناه في التفاعل الحيوي بين النصوص، تفاعل نص ماضٍ مع نص حاضر عند المعتمد بن عباد في قوله:[٤٤]

فها كها قطعة يطوى لها حسدا السيف اصدق أنباء من الكتب

وقد أحسن الشاعر التصرف في استخدام التناص الذي وظفه في صميم النسيج الفني للبيت، وقد وفق في تضمينه عجز بيته من مطلع قصيدة أبي تمام في فتح عمورية نحو قوله:[٤٥]

السيف أصدق إنباءً من الكتبِ في حده الحد بين الجدِ واللعبِ

---

[٤٠] يوسف: ٨٦.

[٤١] ديوانه: ١٦١، ١٦٢.

[٤٢] ديوانه: ٩٩.

[٤٣] شرح ديوان طرفة بن العبد: ٢٥.

[٤٤] ديوان المعتمد بن عباد: ١٩١.

[٤٥] ديوان ابي تمام:٧٧.

وتعكس هذه النصوص ثقافة الشعراء واطلاعهم على الموروث الشعري القديم واتكاءهم عليه في التعبير عن تجربتهم الشعرية إذاَ ((التناص يعد في احد جوانبه حوارا مع إشكال أدبية ومضامين ثقافية))[٤٦]

فالتناص لا يقف عند احتواء نص لنص سابق او لنصوص سابقة كالاستشهاد فقط، بل هو ((يتعامل تعاملا تحويلياً حيث يكون كل نص لاحق بالنسبة الى سابق ولادة جديدة...))[٤٧]

كما في قول لبيد[٤٨] :

وجَلاَ السُّيولُ عن الطُّلُولِ كأنَّها زُبرٌ تُجدُّ مُتُونَها اقْلامُها

اخذ المعنى وتداوله من بيت امرئ ألقيس قوله[٤٩].

لِمَنْ طَلَلٌ ابصرتُه فَشَجاَني كخَطِّ زَبُورٍ في عَسيبِ يماني

أسهم نص(لبيد) بشكل فعال في إثراء النص المتداول نفسه، ووضعه في سياق متجدد، وكأنه منقطع عن نص (امرئ ألقيس) فالألفاظ متشابهة، لكن المعنى المعبر عنه بها مختلف، فالسياق هو الذي يحدد المعنى المتداول؛لأن النص السابق بمثابة إطار متكامل لتداول المعاني فالتداول في هذين البيتين شمل جانبين رئيسين ((أحداهما :يعني بالفكرة العامة المتداولة المشتركة بين الشعراء، والآخر: يعني في الوقت ذاته باعتماد تلك الإشعار للتشبيه أساسا للصورة الفنية التي يضيفها كل شاعر على شعره ليحقق الخصوصية لإبداعه الفني))[٥٠].

فإن كل نص ما هو إلا نسيج من استشهادات سابقة وبالنتيجة، فأن كل نص هو تناص))[٥١]هذا ما يجعل من السياق معطى غير ثابت؛ بل يتغير، فهو يبنى قولاً بعد قول، فقيمة السياق تتجلى في تأويل الكلام[٥٢].

مظان البحث:

القرآن الكريم :

- – الابعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الادباء:لمصطفى الغرافي،مجلة عالم الفكر،المجلس الاعلى للثقافه،الكويت مجلد٤٠/٢٠١١م.
- – الأسلوبية والتداولية .مداخل التحليل الخطاب –د–صابر محمود الحباشة –عالم الكتب الحديث اربد – الاردن –ط ١٤٣٢–٢٠١١م.
- – أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ،ودور هذة النظرية في التوصل الى المعنى د.محمد سالم صالح–شبكة المعلوماتية
- – الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية:لـ ادريس مقبول،عالم الكتب االحديث،الاردن ،اربد ط ١٢٠١١م.
- – الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية احمد محمد ويس ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت ط١١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

---

[٤٦]لسانيات النص: ٣١٥.

[٤٧]تداول المعاني بين الشعراء: ١٢٧.

[٤٨]ديوانه: ٢٩٩.

[٤٩]ديوانه:٨٥.

[٥٠]تداول المعاني بين الشعراء:٩٥ .

[٥١]شعرية النص عند الجواهري: ٣٣١.

[٥٢] ينظر المقاربة التداولية المصطلح والمنهج والتداولية تغازل السرد: شبكة المعلوماتية .

- – البلاغة الأسلوبية .لمحمد عبد المطلب –الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
- – بلاغة الخطاب وعلم النص:لصلاح فضل ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ١٩٩٠م.
- – البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق:لمحمد بركات حمدي ابو علي دار وائل ،بيروت ط٢٠٠٣م١م.
- – البيان والتبيين.لابي عثمان عمرو بن الجاحظ ،تحقيق:عبد السلام هارون مكتبة الخابخي مصر ط٥ ١٩٨٥م.
- – تجليات الشعرية ،قراءة في الشعر المعاصر د.فوزي سعد عيسى ،منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٩٧.
- – تداول المعاني بين الشعراء قراءة في النظرية النقدية عند العرب –لاحمد سليم غانم المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء –المغرب ط١ ٢٠٠٦م.
- – التداولية النشأة والتطور :شبكة المعلوماتية
- – التداولية النصية،قراءة في كتاب التداولية النصية من انواع الخطاب الى النصوص –شبكة المعلوماتية
- التداولية والنظرية النقدية :معن الطائي –شبكة المعلوماتية –
- – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع :للسيد المرحوم احمد الهاشمي –المكتبة التجارية الكبرى مصر –ط١٢–١٣٧٩هـ١٩٦٠م.
- – الحيوان،لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،تحقيق:عبد السلام هارون ،بيروت،دار احياء التراث العربي –د–ت.
- الخطيئة والتكفير –لعبد الله محمد الغذامي –النادي الادبي الثقافي جده١٩٨٥م. –
- دراسات في البلاغة العربية والنقد الادبي القديم –
- – دلائل الاعجاز،لعبد القاهر الجرجاني،دار المعرفة للطباعة والنشر .بيروت ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م.
- – ديوان ابن تمام –شرحه زكريا الخطيب البتريزي–مطبعة السلسبيل مصر .د.ت.
- ديوان ابن زيدون،الشركة اللبنانية للكتاب ،بيروت ،لبنان ،د–ت. –
- – ديوان ابي فراس الحمداني رواية: ابي عبد الله الحسين بن خالويه،دار صادر بيروت ط٢١٤١٦هـ ٢٠٠٥م.
- – ديوان امرىء القيس ،تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم –دار المعارف –القاهرة ١٩٩٠م.
- ديوان المتنبي–شرح ،عبوداحمد الخزرجي،المكتبة العالمية .القاهرة ،د.ت. –
- – ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ،جمع وتحقيق:د.رضاالحبيب السويسي ،الدار التونسية للنشر١٩٧٥م.
- – ديوان عبيد بن ربيعة العامري –تحقيق احسان عباس ،وزارة الارشاد والبناء الكويت ١٩٦٢م.
- – السلطان الخطاب حياته وشعره:لـ اسماعيل قربان حسين ،دار المعارف مصر د–ت
- – شرح ديوان طرفه بن عبد .قدم لـه وعلق حواشيه :سيف الدين الكاتب ،احمد عصام الكاتب منشورات دار المكتبة بيروت ١٩٨٩.
- – الشعر والشعراء طبقات الشعراء .لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .تحقيق د.مفيد قميحة .والاستاذ محمد امين الضناوي–دار الكتب العالمية –بيروت لبنان ط٢ ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- – شعرية النص الجواهري –الايقاع والمضمون واللغة ،للدكتور –علي عزيز صالح دار الكتب العالمية – بيروت ط٢٠١١:١م.
- – في نظرية الادب وعلم النص بحوث وقراءات:لـ ابراهيم خليل –منشورات الأخلاق الجزائر ط ١٣٣١هـ – ٢٠١٠م.

- – كتاب الصناعتين ،الكتابة والشعر–لابي هلال العسكري ،تحقيق د.مفيد قيمة دار الكتب العلمية –بيروت ط١ ١٤٠١–١٩٨١م.
- – لسان العرب:لابن منظور–تحقيق:امين محمود ،ومحمد الصادق ،دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣ ١٩٩٩م.
- – لسانيات النص :مدخل الى انسجام النص–لـ محمد خطابي –المركز الثقافي العربي –بيروت ط١ ١٩٩١م.
- – اللغة العربية معناها ومبناها :للدكتور تمام حسان ،عالم الكتب القاهرة ط٤ ١٣٢٥هـ–٢٠٠٤م.
- – محاضرة عن التداولية واقعية لغة ام تواصلية تركيب –جابر محمد جابر –شبكة المعلوماتية.
- – مغامرة المعنى من النحو الى التداولية قراءة في شروح التلخيص –للخطيب القزويني .
- – الموازنة بين الطائيين،تحقيق:السيد احمدصقر ،وعبد الله احمد محارب ،دائرة المعارف القاهرة ط ١ ١٩٩٠م.
- – الوساطة بين المتنبي وخصومه –للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ،القاهرة،دار احياء الكتب العربية١٩٦٦م.